رأي القدس

المالكي اول ضحايا الاستراتيجية الجديدة؟

■ استراتيجية بوش الجديدة في العراق تمثل مقامرة كبيرة محفوفة بالمخاطر، لان فرص فشلها اكبر بكثير من فرص نجاحها. ولكن ليس هناك ما يمكن ان يخسره صاحبها، فشعبيته متدنية للغاية، ولا يواجه اي انتخابات رئاسية او نيابية في العامين المتبقيين من فترة رئاسته الثانية والاخيرة.

الرئيس بوش يريد ارسال اكثر من عشرين الف جندي اضافي لتأمين منطقة بغداد، والقضاء على فرق الموت والقتل الطائفي ووقف ظاهرة السيارات المفخخة، ورصد مليار دولار لخلق وظائف جديدة وتحسين الخدمات العامة للعراقيين.

المشكلة في العراق قد تبدو امنية بالدرجة الاولى، ولكن الحقيقة اعمق كثيرا، والشق الامني هو قمة جبل الثلج، ولذلك فان ارسال قوات اضافية قد لا يحقق النتائج المرجوة، اي وقف العنف الطائفي وضبط الامن في العاصمة بغداد.

العملية السياسية في العراق التي خرجت من رحم الاحتلال فشلت فشلا ذريعا، وانعكس هذا الفشل في الحرب الاهلية الطائفية وحال الفوضى الدموية التي يعيشها العراق حاليا، وتودي بحياة اكثر من ثلاثة الاف شخص شهريا.

اسباب الفشل واضحة ولا تحتاج الى كثير من العناء للتعرف عليها، وابرزها انحياز الاحتلال الامريكي لطائفة على حساب اقصاء طائفة اخرى، والعمل على اذلال افرادها بطريقة تنطوي على الكثير من التشفي.

فالمسؤولون الامريكيون في العراق الذين يمثلون نموذجا ناجحا في تعايش الاعراق والثقافات والديانات، طبقوا عكس ما يجري في بلادهم، واعتمدوا المحاصصة الطائفية كاسلوب عمل في «العراق الجديد». وفككوا كل مؤسسات الدولة العلمانية غير الطائفية مثل الجيش وقوى الامن والنظام التعليمي.

الرئيس بوش يعترف من خلال تبنيه الاستراتيجية الجديدة بكل هذه الاخطاء، ولكن الحلول التي يقترحها لاصلاحها لا تأتي متأخرة فقط، وانما في قمة السذاجة.

فالغاء عملية اجتثاث البعث، ودعوة البعثيين السابقين والحاليين للمشاركة في السلطة، وفتح مجالات اوسع للعناصر السنية، كلها خطوات تبدو جيدة على الورق، ولكن من غير المتوقع ان يكون التجاوب معها كبيرا، خاصة بعد طريقة الاعدام المهينة وغير الاخلاقية والطائفية للرئيس العراقي الراحل صدام حسين، وهي الطريقة التي كان بامكان ادارة الرئيس بوش منعها وهي صاحبة الكلمة الاولى والاخيرة في العراق.

من الواضح ان القوات الامريكية الاضافية ستستهدف فصيلين اساسيين، الاول جيش المهدي وزعيمه السيد مقتدى الصدر، والثاني المقاومة الاسلامية والبعثية. وبما يؤدي الى اعادة الامن والهدوء الى العاصمة بغداد. ولكن التمنيات شيء والنتائج المتوقعة قد تكون شيئا آخر مختلفا تماما.

حكومة المالكي قد تكون اول ضحايا الاستراتيجية الجديدة، وقبل ان تتجاوز مراحلها الاولى، وقبل ان يتبين نجاحها من فشلها، فكيف ستقبل هذه الحكومة الطائفية بتصفية قاعدة الدعم الاساسي لها، وهي الكتلة الصدرية وميليشياتها؟

الرئيس بوش اطلق آخر سهم في جعبته، وجاء باستراتيجية مختلفة كليا عن توصيات لجنة بيكر ـ هاملتون، اي ارسال قوات اضافية، بدلا من سحب ما هو موجود بشكل تدريجي، وهذا السهم «المسموم» قد يرتد الى صدر صاحبه، ويضع حدا لشرعيته، ويؤكد هزيمته، وانهيار السياسة الامريكية في منطقة الشرق الاوسط برمتها.

الاستراتيجية الجديدة قد تثير عش الدبابير في العراق، وتجعل من القوات الامريكية هدفا لاكثر من عدو، ومن بين هؤلاء الميليشيات الطائفية التي اشتد عودها في الاعوام الثلاثة الاخيرة بسبب التواطؤ الامريكي معها ومع قادتها الطائفيين.

التعجيل باعدام الرئيس العراقي صدام حسين، وتنفيذه بالطريقة البشعة التي شاهدناها قد يدفع ثمنهما السيد مقتدى الصدر الذي اشرف اتباعه على عملية الاعدام ورددوا اسمه، ورقصوا على جثة الرئيس المغدور، لانه سيكون الهدف المقبل الذي يجب تصفيته سياسيا وربما جسديا، فهناك صفقة قد نرى فصولها تترجم عمليا في الايام المقبلة.

التشيع السياسي في العراق يهدد سردية الأمة

د. بشير موسى نافع *

■ ليست القوميات نتاج وعي أزلي أو وراثي. تنشأ القوميات وتتطور في سياقات تاريخية معينة. وجد العرب والانكليز والألمان، مثلاً، منذ قرون بعيدة، ولكن وعي كل أمة بذاتها كأمة لم يأخذ في التبلور الا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وقد وفر تطور وسائل الاتصال، الكلمة المطبوعة، المدرسة والجامعة الحديثة، تضخم المدن، والانهيار التدريجي لروابط الاجتماع التقليدي، الظروف الموضوعية الضرورية لولادة الوعي القومي. في بعض الحالات، لاسيما خارج النطاق الأوروبي الغربي، حيث ولدت القومية للمرة الأولى، لعبت التحديات الخارجية دوراً رئيساً في نشوء ونمو فكرة الأمة. ولتوكيد وجود الامة، لانتشار الفكرة القومية من دائرة النخبة الى أوساط الشعب وفئاته المختلفة، لابد من بناء سردية خاصة بالأمة، سردية تكفل صياغة الهوية وتعيد الهوية صياغتها باستمرار، سردية تتسلل الى قاعات الدرس، الى سطور الصحف، الى نشرات الأخبار، الى الغناء والموسيقى، الى الرسم والمسرح، الى المتحف وكتب الجغرافيا، والى الشعر والرواية. سردية الأمة هي وعي الأمة الجمعي بذاتها كأمة؛ وما ان تكسر هذه السردية، تقوض، أو تنهار، حتى تتعرض الأمة ذاتها للانكسار أو التقويض أو الانهيار.

خلال المئة عام الماضية، ومثل كل الأمم الأخرى، بنى العرب سرديتهم كأمة. لعبت أسطورة النقاء العرقي دوراً مركزياً في أغلب القوميات الأوروبية؛ ولكن الآباء العروبيين للفكرة العربية، وقد كان أكثرهم من المسلمين الاصلاحيين، رفضوا العنصرية المضمرة في موضوعة النقاء العرقي، وجعلوا الميراث التاريخي والثقافي واللغوي ركيزة الفكرة العروبية. السردية العربية هي سردية اللغة المشتركة؛ سردية المتنبي وأبي تمام؛ الفتوحات الاسلامية الكبرى؛ النصوص المؤسسة للتاريخ العربي ـ الاسلامي، للفقه والحديث، للنحو والصرف؛ سردية الغزو المغولي والحملات الصليبية؛ سردية مقاومة الاستعمار الأوروبي الحديث؛ ولادة الحركة العربية في مواجهة التتريك وتقسيم المنطقة عشية الحرب العالمية الأولى؛ النضال من أجل الاستقلال والتوحد حول فلسطين والجزائر ومعركة السويس؛ وهي سردية هزيمة حزيران/ يونيو 1967 وانطلاق المقاومة الفلسطينية؛ سردية المقاومة في جنوب لبنان وانتفاضات الشعب الفلسطيني؛ سردية السياب وعبد الصبور ودرويش. تتجاوز هذه السردية حدود الدولة القطرية، تجمع أبناء الدار البيضاء بأبناء القاهرة ودمشق. ولا توحد هذه السردية مواقف العرب من الأحداث الكبرى والتحديات التي تواجههم وحسب، بل تعيد هذه الأحداث والتحديات توليد سردية الأمة باستمرار لا ينقطع. يراقب العرب نشرة الأنباء ذاتها عبر الفضائيات الرئيسية، يحتجون معاً ضد غزو العراق، ويتظاهرون معاً لنصرة لبنان.

بيد ان سردية الأمة تتعرض اليوم لمخاطر غير مسبوقة. ما لم تستطع الدولة القطرية ونخبها الحاكمة وامتيازاتها كسره او اضعافه، يواجه الآن أكبر تحد له في العراق. الذين ساهموا في الحركة العربية منذ نهاية القرن التاسع عشر، الذين رفدوا سردية الأمة، لم يكونوا سنة أو شيعة، مسيحيين أو مسلمين، لبنانيين أو يمنيين؛ كانوا كل هؤلاء. ولم يكن غريباً بالتالي ان يضم الجيل الأول من العروبيين سنة وشيعة ومسيحيين، أن يلعب مسيحيون عرب دوراً رئيسياً في تأسيس عصبة العمل القومي، حزب البعث، وحركة القوميين العرب؛ أو أن يكون العراقيون الشيعة مكوناً رئيسياً من مكونات الأحزاب القومية في العراق، من حزب الاستقلال الى حزب البعث. ولكن تداعيات احتلال العراق منذ أكثر من ثلاث سنوات، وصعود القوى السياسية الشيعية على موجة طائفية بشعة، يهدد رؤية العرب لأنفسهم كعرب.

القوى السياسية الشيعية في العراق ليست بالضرورة شيعة العراق، وتبني هذه القوى خطاباً طائفياً لا يعني بالضرورة وجود مسوغات أيديولوجية متجذرة أو واقعية لهذا الخطاب. لا تمثل هذه القوى شيعة العراق لأن هناك معارضة واسعة لها في أوساط العشائر العربية الشيعية كما في أوساط رجال الدين والمثقفين الشيعة العرب؛ بينما تستمد هذه القوى سندها من خطاب ابتزازي روجت له من بداية الاحتلال في أوساط البسطاء، من سلطة ميليشياتها ووسائل الارهاب التي توظفها ضد معارضيها، ومن الاستخدام واسع النطاق وغير الأخلاقي للمال السياسي. وليس هناك شك ان تاريخ العراق عرف لحظات توتر سنية ـ شيعية، ولكن تلك اللحظات لم تتحول مطلقاً الى أيديولوجيا طائفية، لا أيديولوجيا العزل ولا الابادة؛ والا فكيف يمكن تفسير استمرار الشيعة في العراق طوال أكثر من ألف عام في ظل سلطة سنية مطلقة، أو حتى انتشار التشيع بين عشائر الجنوب خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تحت عين وسمع المسؤولين العثمانيين السنة. بل ان ما عرفه العراق من تداخل اجتماعي، تعليمي، وسياسي، منذ قيام الدولة العراقية الحديثة في 1921 لم تعرفه حتى المجتمعات الأوروبية الحديثة. ثمة عشائر عراقية تتوزع بين التسنن والتشيع، وآلاف من الأسر العراقية المختلطة. وحتى بروز القوى الشيعية السياسية، لا تكاد توجد حركة سياسية واحدة في التاريخ العراقي الحديث لم تضم سنة وشيعة معاً.

بيد ان القوى السياسية الشيعية قامت عن وعي وتصميم، حيناً، وعن جهل، حيناً آخر، باعادة صناعة تاريخ العراق، وصياغة هذا التاريخ في شعارات طائفية وفئوية، تنطلق ابتداء من تصور العراقيين الشيعة كجماعة تفترق عن بقية العراقيين. سوغت القوى الشيعية السياسية تأييدها الغزو الأجنبي والتحالف مع ادارة الاحتلال بدافع التخلص من نظام عراقي مستبد؛ وهو تسويغ يوحي بتوجه عراقي جمعي ودفاع عن حقوق العراق والعراقيين، بغض النظر عن الاتفاق والاختلاف مع الموقف من الغزو والاحتلال. ولكن هذه القوى سرعان ما كرست نفسها كقوة دفع طائفية طاغية، تستهدف فصل شيعة العراق عن باقي العراقيين، سياسة وثقافة وجغرافية وحكماً. ولعل حادثة اعدام الرئيس العراقي السابق صدام حسين تحمل بعض ملامح هذا التوجه. فقد تصور البعض ان البشاعة الطائفية المقززة التي أحاطت عملية الاعدام، من التوقيت الطائفي والصيحات الطائفية الى السلوك البدائي البذيء، مجرد خطأ. ولكن الحقيقة ان أجواء الاعدام ليست عفوية، بل مقصودة، بوعي أو بدون وعي، بنتها القوى الشيعية السياسية العراقية حجراً حجراً. القوى السياسية الشيعية لا تريد لشيعة العراق ان يشعروا بارتباطهم بمحيطهم العربي، لا تريد لهم تقديم اسلامهم على طائفتهم، ولا تكترث هذه القوى أدنى اكتراث بمشاعر العرب والمسلمين. هذه قوى طائفية مغلقة، قوى مريضة، وهي قوى يسيطر عليها شعور بالضعف، تجد في الكهف الطائفي المظلم وسيلتها الوحيدة للبقاء وتأسيس الشرعية.

هذه القوى خطر على العراق، على الشيعة، وخطر بالغ على العرب كأمة. هي خطر على العراق لأن أحلامها المجنونة في السيطرة دفعتها الى مشروع تطهير طائفي وحشي لخلق واقع عراقي منقسم على ذاته، واقع يكسر مفهوم الوطن، يضع العشيرة في مواجهة ذاتها، يؤدي الى انهيار آلاف الأسر العراقية الشريفة المختلطة، ويزرع تراب العراق بمئات الآلاف من جثث الضحايا. وهي خطر على الشيعة لأنها تجرهم الى المجهول، تجرهم الى مواجهة لم يريدوها ولا هي في صالحهم بأي حال من الأحوال، مواجهة لا أفق لها ضد أشقائهم العراقيين والعرب والمسلمين.

وهي خطر بالغ وغير مسبوق على العرب كأمة، على السردية العربية، وعلى طموح العرب في التقدم نحو مستقبل أفضل. باستمرار المشهد الطائفي الدموي في العراق ليس ثمة من وسيلة لتجنب تفاقمه واتساعه ليطال محيطه العربي. فبعد شهور قليلة من التفاف العرب حول مقاومة حزب الله للعدوان الاسرائيلي، تشهد العواصم العربية، وللمرة الأولى في التاريخ العربي الحديث، تصاعد خطاب طائفي مرير. شيعة البحرين، احدى أول دول الخليج تسيساً وتحديثاً، يصوتون في الانتخابات البرلمانية ككتلة واحدة بلا ألوان سياسية. السنة، الذين لم يروا أنفسهم مطلقاً كطائفة، يتذكرون أنهم سنة؛ ودعاوى «الهلال الشيعي»، التي اعتبرت مجرد أداة أجنبية لزرع الفتنة والشقاق بين شعوب المنطقة، ينظر اليها الآن بجدية. السياسة الايرانية في لبنان وفلسطين، التي وجدت دائماً دعماً شعبياً عربياً واسعاً، تغرق الآن في ايحاءات الميراث الصفوي تجاه العراق. التدافع السياسي في لبنان يتحول شيئاً فشيئاً الى تدافع طائفي. القوى السنية الطائفية، التي لم تكن أكثر من قوى هامشية بالنسبة للجسم السني الكبير والمتنوع، تكسب أرضاً جديدة كل يوم. ان استمرت الأمور على وتيرتها الحالية، فليس من المستبعد ان تشهد المنطقة العربية انفجارات طائفية متلاحقة؛ بل وان يتسع نطاق الانفجار الى بلدان اسلامية أخرى. وبدلاً من أن يرى العرب أنفسهم عرباً يعتزون بميراثهم التاريخي التعددي، الذي سمح لأن تكون هذه المنطقة من العالم الأكثر تنوعاً، طائفياً ودينياً واثنياً، يأخذون في رؤية أنفسهم سنة وشيعة.

وليس من المستبعد ان يعاد تصور ايران في الوعي العربي من كونها حليفاً اسلامياً الى اعتبارها مصدر خطر وتهديد طائفي وقومي. وبدلاً من ان يكون التوجه نحو تخليص العراق والمنطقة من قوى الغزو والاحتلال الأجنبية، يصبح من المبرر والمسوغ التحالف مع القوى الأجنبية لايقاع الهزيمة بايران وحلفائها. وليس ايران وحسب، بل فتح المجال العربي ـ الاسلامي كله على أبواب حقبة مظلمة من التحالفات التي تلعب القوى الخارجية فيها دور الحكم والمرجع والمايسترو. مثل هذا المستقبل، لن يؤسس لتشظ داخلي فلكي الأبعاد، بل سيدفع المنطقة عقوداً عدة الى الوراء. المشهد العربي لم يصل الى حالة من الاصطفاف الطائفي؛ ولكن أحداً لا يعرف الى متى يمكن للقوى العربية والاسلامية الرافضة للحالة الطائفية ان تحافظ على مواقعها، بينما الاعصار العراقي العاتي يطال الفضاء العربي ـ الاسلامي كله.

فما المخرج اذن من هذا المصير؟ طوال العامين الماضيين، ومنذ اتضحت ملامح المشروع الطائفي للقوى الشيعية السياسية في العراق، كتبت وكتب غيري كثيرون، نطالب برفع الغطاء الاسلامي الشيعي عن القوى الطائفية والارهابية. لو ان القيادات والدوائر العلمائية الشيعية خارج العراق وقفت من القوى العراقية الشيعية الطائفية والارهابية موقفاً شبيهاً من ذلك الذي أعلنته القيادات والدوائر العلمائية السنية من القوى الطائفية والارهابية السنية في العراق لربما ما كانت أوضاع العراق وصلت الى ما وصلت اليه، وربما كان من الممكن محاصرة تلك الأوضاع وتحصين الوضع العربي من أثرها المدمر. ما زال هناك بالطبع فسحة قصيرة من الوقت لتلافي ما وقع؛ ولكن حجم المشكلة أصبح أكبر كثيراً مما كان عليه حتى قبل عام واحد. الموت والتطهير الطائفي اللذان تشهدهما بغداد، وباقي مناطق العراق الأخرى، تسللا الى غرف جلوس الأسر العربية، من الرباط الى مسقط. لقد تعامل الكثير من العرب، أنظمة وقادة رأي، مع العراق باستخفاف خلال السنوات الأخيرة، ولم يروا النتائج الوخيمة التي استبطنها مشروع الغزو الأمريكي للعراق نفسه ولكل جواره العربي والاسلامي. وبات من الضروري الآن ان يتحرك الجميع، الأنظمة الحاكمة، قادة الرأي، العلماء، الأحزاب، الدبلوماسية الرسمية والجهود الشعبية وغير الرسمية، لمحاصرة الخطر الطائفي الداهم واعادة بناء الخطاب العربي الواحد.

* كاتب وباحث عربي في التاريخ الحديث

السياسات الأمريكية تدفع العرب نحو امتلاك السلاح النووي

د. يوسف نور عوض *

■ هل أصبح العالم أكثر أمنا بعد أن شنت الولايات المتحدة حربها على أفغانستان والعراق؟

الإجابة بكل تأكيد لا، وليس ذلك بسبب تزايد عمليات المقاومة في هذين البلدين بل لأن الاستراتيجية التي اتبعتها الولايات المتحدة ـ وهى امتداد للنظرة الغربية المتعالية ـ لم تكن صحيحة في منطلقاتها الأساسية ذلك أن قضايا العالم لا يمكن حلها بالقوة كما لا يمكن تسمية حركات المقاومة المشروعة كما هو الشأن في العراق بأنها إرهاب. ولا يمكن أن ننسب جميع هذه الحركات إلى القاعدة التي لا يمكن أن تكون بهذه القوة والاتساع بحيث تشمل العالم كله بينما زعماؤها محاصرون في تلال أفغانستان وباكستان.

إذن لا بد أن نتوقف لنتساءل عن الدوافع الحقيقية لتحركات من يطلقون على أنفسهم اسم العالم الحر وكيف يستغلون مظاهر الحرية في بلادهم ليفرضوا على العالم الفقير والضعيف أسوأ صور الظلم والقهر ولا يتركون لهذا العالم فرصة إعادة بناء نفسه بدعمهم للقوى المسيطرة والقاهرة ومقاومتهم لكل وسائل التعبير المشروعة. وهنا لا بد أن نتساءل عن بداية العنف في عالم اليوم وهو عنف لا نجد جذوره في القاعدة أو عند حركات المقاومة في مختلف أنحاء العالم بل تكمن جذوره في العالم الغربي نفسه ذلك أنه بعد نهاية الحرب العالمية الأولى لم تحاول ألمانيا إعادة بناء نفسها للعيش في عالم جديد بل سيطرت عليها فكرة الانتقام، ولم تكن ألمانيا تقدر حقيقة امكاناتها المحدودة فقد أرادت أن تسيطر على أوروبا كلها وعلى دول لا تقل عنها من حيث الامكانات مثل فرنسا وبريطانيا بل وذهب بها الطموح إلى أن تفكر في غزو روسيا وشعرت بعض الدول مثل تركيا واليابان أنها بالانضمام إلى الجانب الألماني يمكنها أن تحقق بعض المكاسب الاستراتيجية. ولكن الهزيمة لم تكن بعيدة عن هذه المغامرة الفاشلة، وعلى الرغم من أن العالم توقف كثيرا عند قنبلتي «هيروشيما» و«ناغزاكي» اللتين وضعتا نهاية للحرب العالمية الثانية فإن العالم لم يتوقف عند مدلول إلقاء هاتين القنبلتين على اليابان بكون الحرب لم تبدأها اليابان، وإذا كان هناك من يستحق أن تلقى عليه قنبلة نووية في تلك الفترة فهي ألمانيا، ولكن الولايات المتحدة لم تفعل ذلك وألقت قنبلتها على اليابان ما يؤكد النزعة العنصرية عندها وأنها حتى في حالات العداء تفرق بين الدول التي هي في المعسكر الغربي وبين الدول التي هي خارج هذا المعسكر. ولكن إلقاء قنبلتي هيروشيما وناغزاكي كان بداية مرحلة جديدة في تاريخ العالم، ذلك أن الاتحاد السوفييتي كان يدرك انه لا يمكن أن يكون ضمن منظومة الدول الغربية بسبب النظرية الماركسية التي تقوم أساسا على مناهضة النظام الرأسمالي وبالتالي عمل الاتحاد السوفييتي على تطوير ترسانته النووية ليدخل عالم الذرة ويبدأ بذلك الحرب الباردة وسباق التسلح. ولم يقف الأمر بالاتحاد السوفييتي عند هذا الحد بل دخل سباق الفضاء عندما أطلق أول قمر اصطناعي في العالم وهو ما أثار مخاوف الولايات المتحدة التي بدأت تفكر في مشروع حرب النجوم. ولم تكن أوروبا بشكل عام راغبة في الدخول في هذا الصراع لأنها كانت تعرف أنه مكلف ولن يؤدى إلى نتيجة حاسمة إذا قامت حرب نووية تكون أوروبا طرفا فيها. ولكن أوروبا وخاصة بريطانيا وفرنسا طورتا امكاناتهما النووية وأنتجتا عددا محدودا من القنابل لغاية الردع. أما الصين فقد كانت من جانبها تعمل في صمت وكذلك دولة إسرائيل التي دخلت عصر التآلف الاستراتيجي مع الولايات المتحدة التي كانت ترى في إسرائيل قاعدة متقدمة لمواجهة المعسكر الشرقي إذا اندلعت حرب نووية. وعلى الرغم من أن البرنامج النووي الاسرائيلي كان في أول أمره بدعم من فرنسا فقد وجد في مرحلة لاحقة دعمه من الولايات المتحدة التي لم تفكر في حل مشاكلها إلا بالقوة. وجاءت بعد ذلك مرحلة سقوط الاتحاد السوفييتي وتفككه. وكان من الممكن أن تكون تلك مرحلة لبناء عالم جديد ولكن الولايات المتحدة التي بدأ يسيطر عليها فكر المحافظين الجدد واليمين المتطرف لم تفكر في هذا الاتجاه وبدأت تسيطر عليها فكرة واحدة وهي السيطرة على العالم كله من منطلق سياسة القطب الواحد. وهكذا فقدت الأمم المتحدة أهميتها الدولية وأصبح مجلس الأمن أداة لتحقيق السياسات الخارجية للولايات المتحدة وانصرف العالم كله عن هذه المؤسسة تاركا المجال للولايات المتحدة لتفعل ماتشاء في هذه المنظمة الدولية.

ولم تفكر الولايات المتحدة للحظة في إعادة النظر في سياستها الخارجية بل انتهزت فرصة اعتداءات الحادي عشر من ايلول/ سبتمبر لتشغل العالم كله بما يسمى الحرب على الإرهاب التي أصبح الموقف منها يحدد الموقف من الولايات المتحدة وقد وجدت إسرائيل في هذه الحرب مبتغاها لأنها صنفت حركات المقاومة ضدها على أنها عمل إرهابي كما حرضت الولايات المتحدة على الحرب في أفغانستان والعراق ورفضت كل مشروعات المصالحة والتسوية، ولم تقف إسرائيل عند هذا الحد فقد كانت من قبل قد عملت على إصدار قوانين في العالم الغربي تعتبر كل من ينتقد إسرائيل بأنه معاد للسامية ومن يشكك في المحرقة بأنه ارتكب جرما يعاقب عليه القانون وبذلك ضمنت أن تستمر جهودها في العالم الغربي دون نقد يقف في طريق تحقيق أهدافها.

ولكن العالم الذي بدأ يدرك خطورة هذا الوضع بدأ يتحرك في اتجاهات عدة فهناك في شبه القارة الهندية تحركت الهند بدعم من الولايات المتحدة لبناء قوتها النووية وهكذا فعلت باكستان بدعم من الصين وربما في غفلة من الولايات المتحدة، وكانت الولايات المتحدة تريد توريط باكستان من خلال الحرب على الإرهاب ولكن الساسة الباكستانيين كانوا أكثر ذكاء عندما انحازوا إلى الموقف الأمريكي ولكن ذلك أيضا لم يجد التقدير الكافي من الولايات المتحدة التي أعلنت صراحة في مرحلة لاحقة دعمها للبرنامج النووي الهندي وحرمت باكستان من أي دعم. ولكن مجرد تمكن باكستان من امتلاك السلاح النووي كان يعني تحولا استراتيجيا مهما لصالح الدول الإسلامية حتى لو لم تكن هناك مواجهة حقيقية. ولم يقتصر الأمر على ذلك فقد طورت كوريا الشمالية برنامجها النووي أيضا وأنتجت سلاحها وأثبتت بذلك أن السلاح النووي لم يعد مقتصرا على الدول الكبرى وإسرائيل. وأخيرا بدأت إيران تسير في الطريق ذاته ووجهت إنذارات حقيقية لإسرائيل. ولا شك أن الولايات المتحدة بإثارتها للصراع السني الشيعي في العراق تريد أن توجد جبهة من الدول العربية تواجه بها إيران ولكن ذلك أمل لن يتحقق لأن الدول العربية لا مصلحة لها في معاداة إيران. كما أن الأخطار في هذه المرة أكبر بكثير مما يتصوره الأمريكيون الذين أثبتوا كثيرا من ضيق الأفق في تحركاتهم الاستراتيجية ولا شك أن الحرب الأخيرة بين حزب الله وإسرائيل وحركة المقاومة في العراق قد قلبتا الموازين وأثبتتا أن قوى كبرى وقادرة لا يمكنها أن تحقق أهدافا عسكرية إذا كان هناك تصميم في المقاومة وفى ظل هذا الواقع انفتحت طاقة أمل حقيقية أمام الدول العربية في أن تجد حلا للمشكلة الفلسطينية التي هي أساس كل المشكلات في الشرق الأوسط. كما بدأت هذه الدول تدرك أن الولايات المتحدة ليست ذلك العملاق الذي لايهزم أو الذي يمكن أن يعتمد عليه في جميع الأحوال.

وإذا كان الخيار بين أن توافق الدول العربية على مواجهة إيران أو التخلي عن دعم الولايات المتحدة فإنها ستفضل التخلي عن الدعم، وإذا شعرت هذه الدول بأن هناك تهديدا نوويا حقيقيا عليها فسيكون أقصر الطرق هو امتلاك السلاح النووي الذي ربما أصبح ضرورة خاصة عند بلد مثل مصر تمتلك الإمكانات لصنعه وتشعر أن مصدر حياتها الذي هو النيل لا يمكن حمايته بينما مصادره تبعد آلاف الكيلومترات من حدودها دون أن تمتلك القدرة التي تمكنها من ذلك. وبالتالي فإن الخيار أمام الولايات المتحدة في هذه المرحلة ليس هو مواجهة إيران أو الدول التي تطور أسلحة نووية بل هو حل المشكلات الحقيقية التي تعاني منها هذه الدول، ذلك أن التقنية النووية أصبحت مملوكة لدى كثير من الدول وإذا لم تستطع إنتاج السلاح النووي فسوف نشهد مرحلة قريبة يمكن فيها بيع السلاح النووي للدول التي تربطها مصالح مشتركة وبالتالي يصبح الوضع كما كان إبان الحرب الباردة يحتاج إلى حل أكثر عقلانية من مواجهات الولايات المتحدة الفاشلة. وباختصار شديد نقول إن سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط لا تحقق أمن إسرائيل بل هي تدفع دفعا نحو امتلاك العرب للسلاح النووي.

* كاتب من السودان

هستيريا الحوار في السياسة

د. علي محمد فخرو

■ لا شيء يدمر روح مناقشة الحدث السياسي العربي أكثر من ظاهرة الاستقطاب المبالغ فيه عند تحليل ذلك الحدث أو التعليق عليه أو أخذ المواقف تجاه أبطاله. والاستقطاب في كل شيء لايمكن الاّ أن يؤدّي الى التضاد والصراع لاقصاء الآخر وتدميره. ان ذلك لايلوث الحياة السياسية فقط، بل يجعل الممارسة الديمقراطية، المبنية على الأخذ والعطاء وتعدد الرؤى، أمراً مستحيلاً. ومما زاد في ترسيخ عادة ممارسة الاستقطاب، بل والتفنن في تنويعها، برامج الفضائيات العربية التي باتت تعتقد بأن حيادها وموضوعيتها لايثبتهما الا عرض الرأي والرأي الآخر بصورة حادة وصاخبة وعدائية. وفي هذا العرض، أو الاستعراض المسرحي أحياناً، تضيع الوسطية ورؤية الأمور من كل الزوايا والموضوعية في الأحكام. وتؤجج تلك المناقشات الاستقطابية الاقصائية للفكر الآخر مشاعر المشاهدين فتتسم كل تعليقاتهم ومداخلتهم بالغلو والانحيازات الجاهلة المسطحة وبغياب أي تسامح. وهكذا يساهم الخطاب الاستقطابي في السياسة والاعلام في بناء عقبة ثقافية أخرى أمام انتقال المجتمعات العربية الى الديمقراطية.

وليست القضية هي الاختلاف في المنطلقات الفكرية الايديولوجية بين المتواجهين فمثل هذه الاختلافات مقبولة بل ومطلوبة لانضاج الحياة السياسية، وانما القضية هي ممارسة أسلوب متخلف لاعقلاني في الحوار، حوار، كما يقول الكاتب جوزيف جوبرت، ليس هدفه التقدم وانما الانتصار.

مناسبة هذا الحديث هو الفوضوية والهمجية عند مناقشة ما يجري حالياً في الوطن العربي والشرق الأوسط. فقد اختلطت الأمور وتعقدت بحيث أصبح الخوض في مجريات الأمور يستوجب يقظة وتوازناً في الخطاب وشمولية وعمقاً في التحليل والفهم. دعنا نضرب عدداً من الأمثلة. فعندما يناقش الملف الايراني فان الغضب تجاه السياسات الخاطئة الثأرية الايرانية في العراق احتلال ايران لجزر عربية يلحق بها شتيمة «الدولة الفارسية المجوسية الصفوية»، وتعمى البصيرة عن أن ترى المناهضة الايرانية الناجحة للمشروع الصهيوني في الجنوب اللبناني وفي فلسطين والوقوف في وجه الهيمنة الامريكية على مقدرات الشرق الأوسط العربي والاسلامي ومحاولة ايران ايجاد توازن الرعب النووي مع العدو الصهيوني بعد أن تخلى العرب عن ذلك. والأمر نفسه ينطبق عند مناقشة نظام الحكم السابق في العراق. فطريقة التفكير الاستقطابي لاترى فيه الاّ الأخطاء والحماقات العسكرية التي ارتكبت بين الحين والآخر ولكنها ترفض رفضاً مطلقاً الحديث عن أي من الانجازات العلمية والفنية والصناعية والاجتماعية التي تحققت. وفي لبنان فان الاختلاف مع المقاومة في مواقفها السياسية المعارضة أو في تحالفاتها الاقليمية يقود المختلفين الى انكار انتصاراتها الرائعة في تحرير الجنوب اللبناني ومناهضة المشروع الصهيوني الامريكي الاستعماري. وفي فلسطين يؤدي الاختلاف مع حركة حماس في بعض مواقفها الى تشويه سمعتها وانكار سجلّها النضالي الساطع. وحتى عند الحديث عن الحكومات المحلية يؤدي الاستقطاب الى الهجوم العنيف المشروع على الاخفاقات وعلى كل أنواع التقصير ويعمي البصر عن رؤية أية انجازات.

في جميع الحالات السابقة يبدو بوضوح بأن لا أحد يؤمن بالتعددية التي يكثر الحديث عنها في هذه الأيام. ويخطئ من يعتقد أن التعددية، وهي من أهم أسس الديمقراطية السياسية، تقتصر فقط على تعددية القوى السياسية، ذلك أن التعددية الفكرية والعقيدية والايديولوجية والتقييمية تسبق ذلك، بل وهي شرط من شروط التعددية السياسية الناضجة.

هناك قول للرئيس الامريكي فرانكلين روزفلت من أنه شيء جيد أن نطلب الحرية لأنفسنا ولمن يوافقوننا الرأي، ولكن أفضل من ذلك أن نعطي الحرية أيضاً لمن يخالفوننا الرأي. ثقافة الاستقطاب والتمركز عند الرأي الشخصي دون أدنى اعتبار للرأي الآخر ستمنع ذلك التوجه الانساني الرفيع وستجعل مداولاتنا عبارة عن ممارسة لمرض الهستيريا بصراخها واغماءاتها وكذبها على النفس، الأمر الذي يجعلنا وكأننا تحت تأثير تنويم مغناطيسي يمنعنا من اجراء أي نقاش أو حوار معقول.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741ـ0208 (6 خطوط)ـ
فاكس: 8902 741ـ0208 أو 7637 748ـ0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 723152(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637
*email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk*
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 723152
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364